

ابيضاح وتعليق

بحث في الرمزية

للأستاذ زكي طليمات

منشور التمثيل بورارة المعارف

نشر الأستاذ الدكتور بشر فارس تعليقاً مافياً في المذهب الرزمي نشرته الرسالة في عددها رقم ٢٥١ جاء تكملة لبحثه القيم الذي صدر به روايته « مفرق الطريق »

والحديث في الرمزية شيء يطول ، فلا تحلو مطالعته في مجلة تحرص على أن تقدم لقراءها نعمة من كل ينبوع

بيد أنه ينبغي من تعليق الأستاذ شيثان لها اتصال وثيق بما سبق أن نشرته عن الرمزية في هذه المجلة منذ ثلاثة أسابيع .. الأمر الأول هو ابتهاج الدكتور بشر بأن براني أعمد إلى بعض تراكيب جرت في توطئة مسرحيته المذكورة في التعبير عن معان وألوان في الرمزية . وهانذا أبادر بتسجيل ما يزيد في ابتهاج الأستاذ الدكتور ، بل ويبحث زهوه ، فأصرح بأنني حقاً عمدت إلى اقتباس تركيبين أو ثلاثة تراكيب وجدت فيها التعبير الكامل عن خلجات وآراء كانت تجول في نفسي منذ أن كنت أدرس الرمزية في الاحراج والتمثيل في معاهد أوربا . ولا يعني إلا أن أهني الأستاذ الدكتور على توفيقه في إيجاد هذه التراكيب وإطلاقها حية قوية تنبض بالمعنى البكر ، وتشق طريقها بين التراكيب الفنية والأدبية لتستقر في صلب اللغة العربية

أما الأمر الثاني ، فالتباس عرض للأستاذ الدكتور حينما أردت أن أفرق بين طبع الدكتور فارس وطبع غيره ممن عالجوا الرمزية من قريب أو من بعيد ، فأجريت في مقال الثاني ما نصه : « فبشر فارس وتوفيق الحكيم بغيرقان من مصدر واحد ، الأول يكتب مثبتاً بما تلقته ... »

ولا يعني أن أعلق على هذا قبل أن أبدى عجب من ذلك الالتباس الذي خالط ذهن الدكتور ؛ إذ المعنى جلي واضح العبارة ، يزيد إيضاحاً ما أوردته في صلب ذلك المقال ، وفي نقدي السابق

لمسرحيته « مفرق الطريق » الذي نشرته الرسالة قبل بحثي في الرمزية .

قلت : إن بشر فارس وغيره من الكتاب الشرقيين ينفرون من معين واحد ؛ وإذا اعترف كاتب من معين ، فعناه أنه تلقن مبادئ وأساليب معينة . إلا أن هناك من يكتب وقد أخذ مثبتاً بما تلقنه ، ومن يكتب وقد خالط ما تلقنه خيال طاري

هذا وقد أعطيت الشيطان حقه حينما أنصفت بشر — وتوفيق الحكيم بما نصه : « إلا أن لكل منهما طرائقه في التعبير عن رزميته » فالأستاذان كاتبان مجيدان في الرمزية ، ولكل منهما سحره فيما يكتب ، ولا بضير الاثنين أنهما يصدران عن نعمة واحدة مادامت طرائق كل منهما تحمل طابع شخصية مستقلة وزيادة في الإيضاح أقول إن منحى بشر فارس في الرمزية هو منحى يقوم على التأثير الدفين تمازجه الوجدانيات والفلسفة ، في حين أن منحى الأستاذ توفيق الحكيم يأخذ سميت السخرية بالعواطف ليدل على إفلاسها أو ليناقش عابثاً هازئاً بمدركات مجردة ؛ وكنا الرمزيتين لها طلاوتها ، ولها فلسفتها ، ولها أسلوبها في الكشف عن الغامض والمبهم والثاني في لفائف الروح أما ماذهب إليه الدكتور فارس من أن مسرحيته تستقر في الرمزية المستحدثة Néo-symbolisme فأمر لا يغير شيئاً من منحى مسرحيته مادامت تصمد إلى الرمزية الأولى التي شرحناها أما والدكتور بشر . فروايات « إدمون رويستان » مثلاً تعتبر من صميم الرومانسية ، وهي مع ذلك من الرومانسية المستحدثة (Néo romantisme) كما يقول النقاد

وما الرمزية إلا خلجة من خلجات النفس خرجت ولها طابع خاص لم يلبث أن خالطته ألوان نفسية جديدة قد تجور من مظاهرها وتبدل من أشكالها ، ولكنها لا تنطفي على صميمها ؛ وشأنها في ذلك شأن أية عاطفة بشرية . ولو أردنا أن نحصى الألوان التي داخلت الرمزية منذ نشأتها لتعذر علينا البحث ولأعيانا الأمر ولوقفنا موقف من يريد أن يقسم الشعرة الواحدة من الرأس إلى أربعة أقسام كما يقول الفرنسيون !

يبقى بعد هذا أن أبدى سروري بأنني كنت في طليعة من نوه بمقام مسرحية « مفرق الطريق » وأنا الرجل الذي يشتهل